مستقبل تعليم اللغة العربية في تركيا
من خلال ماضيها وحاضرها

د. ابراهيم شعبان
Yard. Doç. Dr. İbrahim ŞABAN

ماضي تعليم اللغة العربية في تركيا

بادئ ذي بدء، يمكننا القول إن الأتراك يمموا وجهة اهتمامهم صوب اللغة العربية بعد اعتناقهم الدين الإسلامي في القرن التاسع الميلادي، شأنهم في ذلك شأن بقية الأمم غير العربية. ولقد بلغ هذا الاهتمام ذروة سنامه في عهد كل من السلاجقة والعثمانيين، الأمر الذي دفع العثمانيين إلى تدريس اللغة العربية وتعليمها بدلا من اللغة التركية في المدارس التي افتتحوها. كما ظهر عدد هائل من العلماء الأتراك الذين أتقنوا العربية، وكتبوا وألفوا بها عددا كبيرا من المؤلفات. واستمر هذا الوضع حتى صدر في العام 1924م قانون توحيد المدارس التي كانت منتشرة في تركيا. مما نتج عنه إغلاق عدد كبير من المدارس التقليدية التي كانت تُدَرِّس العلوم الدينية والعربية. وبعد فترة من الوقت تم إخراج مادة القرآن الكريم أيضا من برامج المرحلة الابتدائية كما تم إخراج مادتي الدين واللغة العربية من المرحلة المتوسطة والثانوية بناءً على أن لا يعيش في تركيا المواطنون المسلمون فحسب. بدلاً من هذه المدارس التقليدية التي كانت تُدرَّس فيها اللغة العربية والعلوم الدينية في عام 1924 تم افتتاح كلية الالاهيات اي لاهوت ضمن جامعة اسطنبول و 29 مدرسة أئمة وخطباء لتكون خلفية لكليات الالاهيات التي تدرّس فيها العلوم الاسلامية اضافة الى تدريب أئمة وخطباء أي شيوخ مساجد. ولكن بناء على أنّ لم تجد من إقبال كاف تم إغلاق مدارس الأئمة والخطباء في سنة 1931 وكلية الإلهيات في سنة 1934 وبدلا منها تم افتتاح معهدا تحت اسم "معهد الدراسات الاسلامية". مع ذلك اللغة العربية بقيت أن تدرّس في جامعة اسطنبول حتى سنة 1938 كمادة وما بين 1938 و1963 درّست ضمن برامج قسم اللغتي العربية والفارسية وبداية من سنة 1963 تدرّس اللغة العربية ضمن برنامج قسم اللغة العربية وادابها. بيد أنّ من الممكن القول إنّ تعليم اللغة العربية بداية من سنة 1924 دخلت فترة من الركود في تركيا.

في العام 1951 أُعيد افتتاح مدارس الأئمة والخطباء التابعة لوزارة التربية والتعليم. وكانت مدة الدراسة في هذه المدارس 7 سنوات، 3 منها في المرحلة المتوسطة و 4 في الثانوية. لكن في العام 1997 تم

إلغاء المراحل المتوسطة من هذه المدارس التي كانت تدرّس فيها اللغة العربية 4 ساعات في الاسبوع، لتصبح مدة الدراسة بها 4 سنوات فقط. ومع ذلك أُعيد افتتاح المراحل المتوسطة من تلك المدارس بعد أن جعلت الحكومة مدة التعليم الإجباري 4+4 أي 8 سنوات بينما كانت 5 سنوات فقط.

حاضر تعليم اللغة العربية في تركيا

من الممكن ان نقسم المؤسسات التي تدرّس فيها اللغة العربية الى قسمين: مؤسسات حكومية وأخرى خاصة.

المؤسسات الحكومية التي تدرّس اللغة العربية في تركيا

كليات الإلهيات، كليات العلوم الإسلامية، أقسام اللغة العربية داخل كليات الآداب والتربية و مدارس الأئمة والخطباء، وجميعها تدرّس اللغة العربية بشكل مكثف وإجباري.

فضلا عن ذلك تدرّس مواد اللغة العربية والقرآن الكريم والسيرة النبوية كمواد اختيارية بداية من الصف الرابع في المراحل الإبتدائية. كما تدرّس اللغة العربية في أغلبية برامج كليات الجامعات التركية في مراحل الليسانس والماجستير والدكتوراة كمادة اختيارية.

فأمّا عدد كليات الإلهيات فقد وصل الى 100 في العام 2013 بينما كان هذا العدد 25 في 2009. كما وصل عدد الطلبة المسجلين في الفرقة الأولى من كليات الإلهيات والعلوم الإسلامية 18000 في عام 2013 بينما كان هذا العدد 6730 طالبا في 2009.

وبالنسبة لأقسام اللغة العربية في كليات الآداب والتربية فعددها 10 وعدد الطلبة المسجلين في الفرقة الأولى منها 750 طالبا، بينما كان عدد هذه الأقسام 4 فقط في عام 2002، ولم يتعدَ عدد الطلبة الذين سُجلوا في فرقتها الأولى في ذلك الحين 130 طالبا لا غير.

فأمّا عدد مدارس الأئمة والخطباء وصل إلى 800 مدرسة في عام 2013 بينما كان عددها 101 في العام 1974. وتدرّس اللغة العربية في هذه المدارس بمعدل 4 ساعات إجبارية من بداية من الفرقة الخامسة.

المؤسسات الخاصة التي تدرّس فيها اللغة العربية في تركيا

إضافة الى المؤسسات الحكومية تدرّس اللغة العربية في المراكز الثقافية التابعة إلى بلديات المدن، ومراكز التعليم الشعبية، والأوقاف، والجمعيّات والمعاهد أو مراكز اللغة الخاصة. كما تدرّس اللغة العربية في المراكز الثقافية التابعة للدول العربية الموجودة في تركيا. وفي السنوات الأخيرة أُفتتحت مواقع ألكترونية لتعليم اللغة العربية. وأدى الإقبال الكبير على تعلم الغة العربية إلى تضاعف أعداد المراكز الخاصة بتعلم العربية مع مرور الزمان.

فعلى سبيل المثال وصل عدد مراكز إيسماك İSMEK (دورات بلدية مدينة اسطنبول الكبرى لتعليم الحرف والفنون) والتي أسسها رئيس وزراء تركيا الحالي رجب طيب أردغان حينما كان رئيس بلدية اسطنبول في العام 1996 في ثلاث فروع، فقد وصل الى 233 مركزا في العام 2013. و في كثير من هذه المراكز الموجودة 38 بلدية صغيرة بالمدينة التركية، يوجد ما بين 2 الى 10 مراكز تدرّس اللغة العربية مجانا. ووصل عدد الطلاب بهذه المراكز عامة في العام 2013 في مختلف المراحل حوالي 14000 طالبا.

وعدد الطلاب الذين يتعلمون اللغة العربية في دورات جمعية الدراسات العلمية والليسانية الأكاديمية التي بدأت تدرّس اللغة العربية فيها قبل 7 سنوات، وصل في 2013 الى حوالي 1000 طالب.

وبالنسبة الى التعليم الالكتروني فقد أسس طالب متخرج من جامعة اسطنبول، في العام 2003، موقعا الكترونيا يمكن مشاهدته على الرابط (www.onlinearabic.net)، وبدأ تدريس اللغة العربية في العام 2007، ووضع على هذا الموقع برنامج قاموس عربي تركي إلكتروني كان وما يزال الأول بين القواميس الإلكترونية عامة. وبلغ عدد الطلبة الذين يتعلّمون اللغة العربية من خلال هذا الموقع في العام 2013 حوالي 3000 طالبا، بينما كان 500 في العام 2008 و 50 في العام 2007. أما عدد أعضاء الموقع حاليا ما يقرب من 1.5 مليون.

مسابقات اللغة العربية

منذ العام 2009 ووزارة التربية والتعليم التركية بالاشتراك مع جمعية الدراسات العلمية واللسانية الاكاديمية، تنسق مسابقات في اللغة العربية لتطوير تعليمها في تركيا. ولقد وصل عدد المدارس المشاركة في تلك المسابقات 571 مدرسة من مدارس الأئمة والخطباء في العام 2013، جاءت من 80 مدينة تركية مختلفة، بينما كان عدد هذه المدارس 25 فقط في العام 2009. ومنذ عام 2011 بدء يشارك في هذه المسابقات طلاب من مدارس الأئمة والخطباء من بلاد البلقان مثل اليونان، كوسوفا، النمسا، مقدونيا، البوسنة والهرسك، رومانيا، بلاد الصرب، كرواتيا و كراباغ.

الاتفاقيات الثنائية التي عقدت مع الدول العربية

ولقد شهدت الأعوام الأخيرة إبرام اتفاقيات ثنائية بين جامعات تركية ودول عربية، تم في إطارها تبادل الطلاب وأعضاء هيئة التدريس. فعلى سبيل المثال شهد شهر شباط/فبراير من العام الماضي توقيع اتفاقية بين جامعة اسطنبول ومركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز لخدمة اللغة العربية التابع الى وزارة التعليم العالي السعودي. ووفقا إلى هذه الاتفاقية تم تأسيس معمل لغة عربية في كلية الاداب جامعة اسطنبول.

مستقبل تعليم اللغة العربية في تركيا

من خلال المعلومات التي قدمناها عن ماضي وحاضر تعليم اللغة العربية في تركيا لتي ذكرناها سابقا، يمكننا أن نلاحظ أن اهتمام الاتراك باللغة العربية بدأ مع اعتناقهم الإسلام، شأنهم في ذلك كشأن

الشعوب المسلمة غير الناطقة بالعربية. ووصل هذا الاهتمام إلى ذروته في عهد السلاجقة والعثمانيين. ومن أهم أسباب هذا الاهتمام، أن اللغة العربية هى لغة القرآن الكريم كتاب الدين الذي اعتنقوه، فضلا عن تقدم الإسلام في العلوم والمعرفة لحثّ المسلمين على العلم والفن والتقنية، هذا إلى جانب تعايش الأتراك مع العرب لدرجة أنهم كانوا يملكون معا دينا وتاريخا وثقافة مشتركة حتى القرن العشرين، هذا كانوا كأمّة واحدة بدون حدود.

لكن بعد ما تقدّم الغرب في العلوم والتقنية في القرن الـ18 بدأ يتراجع تفوّق اللغة العربية في التعليم. وكاد يدخل تعليم اللغة العربية إلى فترة الركود في البلدان الإسلامية غير العربية، منذ بداية القرن 20، وذلك بسبب انقسام الدول المسلمة إلى دول مستقلة عن بعضها. ومنذ الربع الأول من القرن العشرين بدأت اللغة العربية تدرّس في تركيا من أجل فهم القرآن الكريم وتعلّم أحكام الإسلام فحسب، وذلك راجع لأن العربية في ذلك الوقت لم تكن لغة من أجل تحصيل العلوم، فضلا عن عدم وجود علاقات سياسية وتجارية ثنائية جيدة بين تركيا والدول العربية.

ومع كل ما سبق، بدأ عدد الطلاب الراغبين في تعلم اللغة العربية بالمؤسسات الحكومية والخاصة، يزداد في السنوات الأخيرة، كما شرعت الجهات المعنية في تنظيم مسابقات اللغة العربية لحثّ المواطنين على تعلمها. وحرص أغلبية المتعلّمين اللغة العربية في السنوات الاخيرة، على تعلمها للتواصل مع العرب وإقامة علاقات معهم، أي أن تعلمهم لها لم يعد قاصرا على فهم القرآن الكريم وأحكام الإسلام فقط. ولعل السبب الرئيس في ذلك هو ازدياد العلاقات السياسية والتجارية التي لم تكن موجودة منذ بداية القرن العشرين، فضلا عن رفع التأشيرات بين تركيا وبعض الدول العربية. وهذا يوضح لنا أن عدد المؤسسات الحكومية والخاصة التي تدرّس اللغة العربية وعدد الطلاب الذين يتعلّمونها، يزداد بالدعم الذي تقدمه الحكومة من أجل تعلم اللغة العربية.

ومن ذلك يمكنا أن ندرك أنه مادامت العلاقات السياسية والتجارية قائمة بين تركيا والدول العربية، وازديادها من وقت لآخر، فإن ذلك يؤدي بدوره إلى ازدياد عدد المؤسسات التي تعلّم اللغة العربية، وازداد الطلاب الراغبين في تعلّمها.

ولا غرو أننا نواجه في يومنا هذا صعوبات ومشاكل في تعلم وتعليم اللغة العربية، بشكل ملموس، ومن تلك المشاكل أن اللغة المستهدفة في المؤسسات التي تدرّس اللغة العربية، هي اللغة العربية الفصحى، بينما العرب يفضلون أن يتحدثوا ويتواصلوا باللهجات المحلية أو العامية بدلاً من العربية الفصحى. لذلك فإن الطلاب الذين يتعلمون الفصحى لا يجدون مجالا للتكلم بالفصحى كما تعلموا، ومن ثم يخيب أملهم ويظنون أنّ تعلم الفصحى لن يجدي، الأمر الذي يضطرهم إلى تعلّم اللهجات العربية المحلية لكي يتواصلوا مع من فقدوا معهم التواصل بالفصحى، وهذا أمر مؤسف للغاية.

ولا يسعني إلا أن أقول، إنه إذا ترك شعوب 22 دولة عربية لهجاتهم المحلية، وتمسّكوا بالعربية الفصحى، لغة القرآن الكريم، وتكلموا بها، فإن ذلك سيعلي من شأن العربية، ويحافظ عليها من الانقراض، كما سيجعل الطلاب الذين يتعلّمونها يعدلون عن فكرة هجرها، واللجوء على العامية واللهجات المحلية للتواصل مع العرب. لأنه لو لم يحدث هذا فإن ذلك سينعكس بالسب والإحباط على من يتعلمون الفصحى هنا، إذ سيسأل الطالب نفسه قائلا: أي دولة اتعلّم لغتها أنا الآن ؟، ظنا منه أنّه يتعلم لغة لا تستخدم أبداً إلاّ في القرآن الكريم. كما أن تحدّث العرب بلهجاتهم المحلية بدلاً الفصحى، في أي مكان بالعالم وليس فقط في تركيا، سيؤثّر بالسلب على مستقبل اللغة العربية الذي يتضرر بشدة جراء ذلك، لأن العرب حينما يسافرون إلى البلدان الأجنبية لن يستطيعوا التواصل مع من يتحدثون العربية في تلك البلدان، الذين لن يجدوا كما ذكرت فائدة في تعلم الفصحى.

المصادر والمراجع

Abdullah Atıf, Tanzimattan Cumhuriyet'e Arapça Öğretimi (kaynaklar ve yöntemler), Marmar Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü Basılmamış Doktora Tezi, İstanbul 2002.

Hasan Soyupek, İkinci Meşrutiyetten Günümüze Türkiye'de Arapça Öğretimi,(Basılmamış Doktora Tezi), Süleyman Demirel Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü, İsparta 2004.

Mahmud Karaca, Türkiye`de Yükseköğretim Kurumlarında Arapça Öğretimi (İlahiyat Fakülteleri Örneği), Dnş: Erol Ayyıldız, Uludağ Üniversitesi 2000.

Halis Ayhan, Türkiye'de Din Eğitimi, Dem Yayınları, İstanbul 2004.

http://ismek.ibb.gov.tr/default.aspx

http://www.arapcayarismalari.org.tr

http://www.imamhatipokullari.org

http://www.istanbul.edu.tr/

http://www.onlinearabic.net/

http://www.osym.gov.tr